وممن ذكرها في ترجمة الكندي وذكره ايضا العماد الكاتب في الخريدة واثنى عليه واورد
له مقاطيع احسن فيها فمن ذلك قوله في ابن الدهان المعروف بالناصح ابي محمد سعيد
بن المبارك النحوي وقد سبق ذكره وكان مخلا باحدى عينيه وهو هنا قوله

لا تبعد الدهان ان ابنه ✽ ادهن منه بطريقين
من عجب البحر تحدث به ✽ بفرد عين وبوجهين

ومنها ما كتبه الى بعض الرؤسا وقد دعوه في موضعه

نذر الناس يوم برؤك صوما ✽ غير اني نذرت وحدي فطرا
عالما ان يوم برؤك عيد ✽ لا ارى صومه ولو كان نذرا

وله غير ذلك اشياء حسنة وكانت له اليد الطولى في النجوم وحل الازياج وتوفي في صفر
سنة تسع وخمسماية بالحلة السيفية وكان سبب موته انه حج من دمشق وعاد على طريق
العراق ولما وصل الى الحلة كسر جمله هناك فاطاب وجهه بعض خشب المحمل فمات لوقته
وكان شيخا ذميم الخلقة مسنون الوجه مسترسل اللحية خفيفها ابيض يعلوه صفرة
رحمه الله تعالى وقيل انه كان يلقب برهان الدين والله اعلم اي ذلك كان وتقدم الكلام
على الحلة فلا حاجة الى اعادتها ثاني مرة ابو المحاسن محمد بن نصر الله بن الحسين بن
عنين الانصاري الملقب شرف الدين الكوفي الاصل الدمشقي المولد الشاعر المشهور
كان خاتمة الشعراء لم يات بعده مثله ولا كان في آخر عصره من يقاس به ولم يكن شعره
مع جودته مقصورا على اسلوب واحد بل تفنن فيه وكان غزير المادة من الادب مطلعا
على معظم اشعار العرب وبلغني انه كان يستحضر نقل كتاب الجمهرة لابن دريد في اللغة
وكان مولعا بالهجا وثلب اعراض الناس وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقا من رؤساء دمشق
سماها مقراض الاعراض وكان السلطان صلاح الدين قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه
في الناس فلما خرج منها عمل

فعلام ابعدتم اخا ثقة ✽ لم يجترم ذنبا ولا سرقا
انفوا المؤذن من بلادكم ✽ ان كان ينفى كل من صدقا

وكان البلاد من الشام والعراق والجزيرة واذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم
وما وراء النهر ثم دخل الهند واليمن وملكها يومئذ سيف الاسلام طغتكين بن ايوب
اخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى المذكور في حرف الطاء واقام بها مدة ثم
رجع الى الحجاز والديار المصرية وعاد الى دمشق وكان يتردد منها الى البلاد ويعود
اليها ولقيته بمدينة اربل في سنة ثلث وعشرين وستماية ولم اخذ عنه شيئا
وكان قد وصل اليها رسولا عن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب
دمشق واقام بها قليلا ثم سافر وكتب من بلاد الهند الى اخيه وهو بمدينة هذين البيتين
والمعاني منها لابي العلا المعري استعملها مضمنا فكان احق به وهما

سامحت كتبك في القطيعة عالما ✽ ان الصحيفة لم تجد من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لانه ✽ يسري فيصبح دوننا بمراحل

ابو المحاسن محمد الكوفي

لله دره فما احسن ما دفع وله من جملة قصيدة طويلة

الا يا نسيم الريح من تل راهط ✽ وروض الحمى كيف اهتديت الى الهند

وقوله من ابيات وهو في عدن اليمن

احبابنا لا اسال الطيف زورة ✽ وهيهات اين الدلبيات من عدن

الدلبيات وتل راهط والحمى اسماء مواضع في نواحي دمشق والبيت الذي للمعري قبله
وهو ✽ وسالت كم بين العقيق الى الحمى ✽ فعجبت من بعد المدى المتطاول
والمعري اخذ هذا المعنى من دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المقدم ذكره فانه لما
هجا الخليفة المعتصم بالله بن هرون الرشيد فطلبه فهرب من العراق الى الديار المصرية
وسكن في اخر بلادها وقال في ذلك

وان امرءا اضحت مطارح سهمه ✽ باسوان لم يترك من الحزم معلما
حللت محلا يحسر الطرف دونه ✽ ويعجز عنه الطيف ان يتجشما

وقد خرجنا عن المقصود ولكن سياق الكلام جر بعضه بعضا ولما مات السلطان
صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غايبا في السفرة التي نفي فيها فسار
متوجها الى دمشق وكتب الى الملك العادل قصيدته الرائية يستاذنه في الدخول
اليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة ولقد احسن فيها كل الاحسان
واستعطفه ابلغ الاستعطاف واولها وهي منه قوله

ماذا على طيف الاحبة لو سرى ✽ وعليهم لو سامحوني بالكرى

ووصف في اوايلها دمشق وبساتينها ومستنزهاتها ولما فرغ من وصف دمشق
قال مشيرا الى النفي

فارقتها لا عن رضى وهجرتها ✽ لا عن قلى ورحلت لا متخيرا
اسعى لرزق في البلاد مشتت ✽ ومن العجايب ان يكون مقترا
واصون وجه مدايحي متقنعا ✽ واكف ذيل مطامعي متسترا

ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها

اشكو اليك نوى تمادى عمرها ✽ حتى حسبت اليوم منها اشهرا
لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ✽ يعفو ولا جفني يصافحه الكرا
اضحي عن الاحوى المريع محولا ✽ وابيت عن ورد النمير منفرا
ومن العجايب ان يقيل بظلكم ✽ كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

وهذه القصيدة من احسن الشعر وعندي هي خير من قصيدة ابي بكر بن عمار الاندلسي
التي اولها وهي على وزنها وقد تقدم ذكر شيء منها في ترجمته

ادر الزجاجة فالنسيم قد انبرى

فلما وقف عليها الملك العادل اذن له في الدخول الى دمشق فلما دخلها قال وهي

هجوت الاكابر في جلق ✽ ورعت الوضيع بسب الرفيع
واخرجت منها ولكنني ✽ رجعت على رغم انف الجميع

Copyright © King Saud University